وقفات مع خِتام شهر رمضان

الحمدُ للهِ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَن يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه. صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فيا عبادَ الله:

لقد شارفَ شهرُ رمضانَ على تمامِه، وبقي منه يومٌ أو يومان، وتَمتلئُ الأجواءُ بدعاءِ القَبول، وتتزينُ بالتهنئةِ بتمام الشهر، وحلولِ العيد.

فما أسعدَها من لحظاتٍ، حين يُكمِلُ المسلمون عِدَّةَ رمضان، وتعمُّ الفرحةُ قلوبَهم، بأن وفّقهم اللهُ للطاعة، وأعانَهم على العمل الصالح، كما قال سبحانه: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

وما أجملَ أن يدعوَ المسلمُ في خِتام عبادتِه، كما دعا خليلُ الرحمن، إبراهيمُ – عليه السلام – عندَ بناءِ البيت الحرام: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

أيها الصائمون:

إنَّ اللهَ سبحانه برٌّ كريم، ما شرعَ لنا صيامَ شهرِ رمضان وقيامَه إلا ليزيدَ إيمانَنا، ويغفرَ ذنوبَنا، ويرفعَ درجاتِنا، فنرجو من المولى الكريمِ أن يمنَّ علينا بالقبولِ والغفران، والعتقِ من النيران.

ومع ذلك، فإنَّ المؤمنَ الصادقَ يستصغرُ عملَه، ويشعرُ بالتقصيرِ فيه، ويخافُ من رَدِّه، وعدم قبوله، مهما كثُرت طاعتُه، لأنه يعلم أنَّ العملَ لا يُقبل إلا بالتقوى، ولا يُثمَّر إلا بالإخلاص.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عن هذِهِ الآيةِ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾، أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ؟ قال: "لا

يـا بنـتَ الصِّـدِّيقِ، ولكـنَّهمُ الَّـذينَ يصـومونَ ويصـلُّونَ ويتصـدَّقونَ، وَهُـم يخـافونَ أن لا تُقبَـلَ مـنهُم." ﴿ أُولَئِـكَ يُسَـارِعُونَ فِـي الْخَيْـرَاتِ وَهُـمْ لَهَـا سَـابِقُونَ ﴾. رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

فالمسـلمُ يعلـمُ أنَّـه مهمـا اجتهـد، فإنَّـه لا يُـؤدِّي حـقَّ اللهِ تعـالى كمـا ينبغـي؛ لـذلك يسـتغفرُ بعـد كـلِّ عمـلٍ صـالحٍ، ويُحسـنُ الظـنَّ بربِّـه، ويرجـو رحمتَـه، ولا يـرى نفسَه من الناجين.

فينبغـي للمـؤمن أن يُكثِـر مـن الاسـتغفار، ويختـمَ شـهرَه بالتوبـةِ والإنابـة، ليُكمِـلَ الـنقص، ويَجبُـرَ الخلـل، وتُرفَـعَ بـه الـدرجات، وتُنـالَ بـه الرحمـات، ويُرجـى بـه القَبول.

وكـلُّ عبـدٍ محتـاجٌ إلى التوبـة، مهمـا بلـغَ صـلاحُه ومنزلتُـه، فهـا هـو آدمُ – عليـه السـلام – يتلقّـى كلمـاتِ التوبـة، فيغفـرُ اللهُ لـه، يقـول سـبحانه: ﴿ فَتَلَقَّـى آدَمُ مِـنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

وهـا هـو رسـولُ اللهِ ﷺ، يقـول: "يـا أيهـا النـاس! توبـوا إلى الله، فـإني أتـوب إليـه في اليوم مائةَ مرة." رواه مسلم.

التوبـةُ عبـادةٌ عظيمـة، فهـي خضـوعٌ وانكسـار، ونـدمٌ واعتـذار، وإقـلاعٌ عـن الـذنب، وعـزمٌ على عـدم العَـود، وابتعـادٌ عـن رُفقـةِ السـوء، ومجـالسِ الغفلـة، ومواطنِ السوء، وحساباتِ السوء، ومشاهدات السوء، ومتابعاتِ السوء.

التوبةُ يا عبادَ الله، صفاءٌ ونقاء، وبُكاءٌ ودعاء، وخوفٌ ورجاء.

التوبة بابُها مفتوحٌ، ما لم تُغرغرِ الروح.

قـال ﷺ فيمـا يرويـه عـن ربِّـه: "يـا عبـادي، إنكـم تُخطِئـون بالليـلِ والنهـار، وأنـا أغفرُ الذنوبَ جميعًا، فاستغفروني أغفرْ لكم." رواه مسلم

يـا أهـلَ الصـيامِ والقيـام، الخاسـرُ حقًـا مـن أدرك رمضـان، ولـم يُغفَـر لـه، جـاء عـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه، أن النبي ﷺ قـال: "رغـم أنـفُ رجـلٍ دخـل عليـه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يُغفَر له." رواه الترمذي، وصححه الألباني

فلنجتهـد في بقيّـة الشـهر وإن قلّـت السـاعات، فالأعمـالُ بـالخواتيم، لنسـتقبل العيدَ ونحن من المقبولين، لا من المحرومين، ومن الفائزين لا من المفرّطين.

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

أقـولُ قـولي هـذا، وأسـتغفرُ اللهَ العظـيمَ الجليـلَ لي ولكـم، فاسـتغفروه، إنَّـه هـو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمـدُ للهِ على إحسـانِه، والشـكرُ لـه على توفيقِـه وامتِنانِـه، وأشـهدُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ وحـدَه لا شـريكَ لـه، وأشـهدُ أن محمـداً عبـدُه ورسـولُه. صـلَّى اللهُ عليـه وعلى آلهِ وصحبِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، أيها المسلمون:

مـن تمـامِ رحمـةِ اللهِ، وجميـلِ فضـلِه، ولطيـفِ حكمتِـه، أن شـرعَ لنـا زكـاةَ الفطـر عنـدَ تمـامِ شـهرِ الصـيام، شـكرًا لـه سـبحانه على مـا أنعـم، وتطهيـرًا للصـائمِ ممـا شابَ صومَه من لغوٍ أو رفث.

جـاء عـن عبـدِ اللهِ بـن عمـرَ رضـي الله عنهمـا، أنَّـه كـان يُقـدِّم صـدقةَ الفطـر، ثـم يغـدو إلى المسـجد، وهـو يتلـو قـول الله تعـالى: ﴿ قَـدْ أَفْلَحَ مَـن تَزَكَّى * وَذَكَـرَ اسْـمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾.

وعـن وجـوبِ زكـاة الفطـر، قـال ابـنُ عبـاسٍ رضـي الله عنهمـا: "فَـرَضَ رَسـولُ اللَّهِ ﷺ زَكَـاةَ الفِطْـرِ صَـاعًا مِـن تَمْـرٍ، أوْ صَـاعًا مِـن شَـعِيرٍ علَـى العَبْـدِ والحُـرِّ، والـذَّكَرِ

والأُنْثَى، والصَّغِيرِ والكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وأَمَرَ بِهَا أنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إلى الصَّلَاةِ." رواه البخاري ومسلم.

عبادَ الله:

زكاةُ الفطرِ فريضةٌ على كلِّ مسلم، تُخرَج عن نفسِه، وعن مَن تلزمه نفقته، كبيرًا كان أو صغيرًا، ذكرًا أو أنثى، حرًّا أو عبدًا.

ومقدارُها: صاعٌ من غالبِ قوتِ البلد، كالأرزِّ، أو التمرِ، أو الزبيبِ، أو البرِّ، أو الدُّخنِ، أو الذرةِ، ونحوِ ذلك.

ومن أراد صاعًا وافيًا فليُخرج ثلاثةَ كيلو جرامات تقريبًا.

ويُستحبُّ إخراجُها عن الجنين – وهو الحمل – لفعلِ عثمانَ رضي الله عنه، ولا يجب.

ويبدأ وقتُ إخراجِها من غروبِ شمسِ آخرِ يومٍ من رمضان، وينتهي بصلاةِ العيد، ويجوزُ تقديمُها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومين.

ويجبُ أن تُعطى لفقراء المسلمين في بلدِ مُخرِجِها، ويجوزُ نقلُها إلى بلدٍ آخر أشدَّ فقرًا، ولا يجوزُ دفعُها لكافر.

ويجوزُ إعطاءُ الفقيرِ فطرتين أو أكثر، وتُؤدَّى بنيةٍ خالصةٍ لله تعالى، مع اختيارِ الطيّبِ من الطعام، وإعطائِه برفقٍ واحتساب.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وأخرجوا زكاةَ فطركم طيبةً بها نفوسُكم، طاهرةً من العيوب، كاملةً غيرَ منقوصة، واحتسبوا أجرَها عند الله، فإنَّها بركةٌ في المال، ونماءٌ في الرزق، وطُهرةٌ للنفس، ومواساةٌ للإخوان.

هذا، وصلُّوا وسلِّموا على الرحمةِ المهداة، والنعمةِ المُسداة، نبيّكم محمدٍ صلى الله عليه وسلم، كما أمركم الله بذلك فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

اللهم اختمْ لنا شهرَ رمضانَ بالعفوِ والمغفرة، والقبولِ والعتقِ من النيران.

اللهم تقبَّلْ مِنَّا صيامَنا وقيامَنا، وصلاتَنا ودعاءَنا.

اللهم إنك عفوٌّ كريم، تُحبُّ العفوَ، فاعفُ عنَّا.

اللهم اجعلنا ممن قام ليلةَ القدر إيمانًا واحتسابًا.

اللهم آتِنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذابَ النار.

اللهم وفِّقْ ولاةَ أمورِنا لما تحبُّ وترضى، وهيِّئ لهم البطانةَ الصالحةَ الناصحة.

سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمّا يَصِفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.